التربية السليمة للنشئ.. أسسها وقواعدها

أ.م.د عمران عيسى حمود*
باحث وأكاديمي من العراق

المقدمة

أن عملية التنشئة تتيح للفرد التفاعل مع حضارته بأنماطها كافة. لذا انصبت توجهاتهم واهتماماتهم على دراسة أساليب التنشئة المبكرة التي يواجهها الطفل طبقاً للمعايير السائدة في مجتمعه، فالطفل يولد خالياً من كل انطباع سيئ، ولكن الحضارة هي التي تضع بصماتها وتأثيرها، لتطبع فيه معالم محددات شخصيته من خلال عملية التنشئة هذه. فالحضارة هي التي تبلور الشخصية الأساسية للفرد.
وينبغي هنا الإشارة إلى أن التنشئة الإجتماعية تعني التربية، التي تتضمن أنواع التعلم الذي يؤدي إلى إكتساب الفرد المقدرة لفهم الحضارة وتكوين شخصيته، ليكون على قدر كافٍ من التمكن لتكييف نفسه مع الحياة وتخلق منه عضواً نافعاً في جماعته. والتربية عملية مستمرة تبدأ مع ولادة الطفل وتستمر بدرجات متفاوتة خلال حياة الفرد كلها.

واذا ما أيقنا بأن شخصية الفرد هي نتاج التعلم، وان كثيراً من التعلم لا بدّ أن يسيطر عليه حضارياً. لذلك يوجد نوعان من التعلم الحضاري احدهما فني والأخر تنظيمي. فتعلم القراءة والكتابة تعلم فني، في حين تعلم قواعد السلوك هو تعلم تنظيمي، ولا يستطيع الطفل في أية واحدة من الحالتين أن يتعلم من تلقاء نفسه، وكلاهما ضرورياً للفرد. وأن الهدف من تعلم الفرد حتى يكون منتجاً ونافعاً اجتماعياً، لغرض زيادة ثروة المجتمع وقوته، لابد من تعلم واكساب الفرد سلوكاً ومعايير واتجاهات معينة، تمكنه من مسايرة

جماعته والتوافق الاجتماعي معها، وتسهل له الاندماج في الحياة الاجتماعية.

المبحث الأول: التنشئة الاجتماعية وعلاقتها في تدعيم الطفولة

ابتدءاً لابد من تحديد المفاهيم المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية وعلاقتها بحماية الطفولة من خلال توضيح هذه المفاهيم بما يتلاءم مع هدف البحث ومكوناته الأساسية والتي تؤدي بالتالي إلى فهم الطروحات والأفكار والحقائق العلمية من منظور حضاري تربوي، يستلزم أزالة الالتباس في أدراك أبعاد هذا البحث والتي سنحاول توضيحها وكشفها فيه.

المطلب الأول: التنشئة الاجتماعية

تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية من اكثر العمليات الاجتماعية حيوية وتأثيراً في شخصية الانسان، ذلك لأنها القاعدة التي ترتكز عليها وتنطلق منها مقومات شخصية الفرد، ويبدئ تأثيرها منذ الحياة الباكرة للإنسان وهو في مرحلة الطفولة. ففي هذه المرحلة من تطور للحياة الانسانية يكون الطفل عبارة عن مستودع الغرائز.

تأتي أهمية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة في هذه المرحلة، بأنها تعمل على ترويض الصغير وجعله كائناً اجتماعياً مندمجاً في الجماعة أو المجتمع الذي حوله، فتتشرب عملية التنشئة بالعادات والتقاليد والأعراف وثقافة المجتمع وغيرها من القيم والمعايير الاجتماعية الفاضلة المستمدة من الاخلاق والمعتقدات والدين، فاذا كانت هذه العادات والتقاليد والتعاليم التي تنقل لهم غير سوية أو منحرفة أو فاسدة أو متأثرة بثقافات أو مفاهيم شاذة، فان الطفل يتقبلها هكذا ويندمج ويتعامل معها بأنها هي الطريق السليم، من هنا تأتي خطورة التنشئة.

يعتبر موضوع التنشئة الاجتماعية أي التربية بالمعنى الواسع من الموضوعات التي تكتسب أهمية بالغة في حقل الدراسات النفسية والاجتماعية والانثروبولوجية. لذا اهتمت هذه الدراسات بدراسة التنشئة الاجتماعية في المجتمعات البدائية والتقليدية على حد سواء، بهدف فهم طبيعة تلك

المجتمعات ونظمها الاجتماعية والحضارة المتعلقة بتنشئة الأفراد وادماجهم مع متطلبات حضارة مجتمعهم.

أن التنشئة الاجتماعية هي عملية تفاعل اجتماعي يكتسب الفرد من خلالها طرائق التفكير والشعور والسلوك التي تمكنه من المشاركة الفعالة في المجتمع.

أن التنشئة الاجتماعية هي عملية تفاعل اجتماعي يكتسب الفرد من خلالها طرائق التفكير والشعور والسلوك التي تمكنه من المشاركة الفعالة في المجتمع، ويمكن تعريفها أيضا بأنها الاسلوب الذي يحقق به المجتمع تكامل أفراده، والعملية التي يتعلمون بمقتضاها التكيف مع مجتمعهم[1].

(1) هولتكرش أيكة: قاموس مصطلحات الانثروبولوجيا، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، القاهرة 1960، ص 136.

والواقع ان التنشئة الاجتماعية هي عملية متميزة في أساسها التربوي والتثقيفي، وتنطوي في معناها الجامع على الاساليب والطرق المتبعة في تربية الاطفال وحضانتهم، أي أنها العملية من خلالها يتربى وينشأ الطفل حتى يصبح عضواً مشاركاً في المجتمع، كما أنها العملية التي تنقل من خلالها متطلبات وعناصر الحضارة إلى الجيل الجديد، وتتضمن عملية التنشئة غرس قيم الجماعة ومثلها واهدافها في نفس الفرد، وتعليمه كيفية التعبير عنها بمعايير اجتماعية وبأطر من أدوار وفعاليات اجتماعية[2].

(2) شاكر مصطفى سليم: قانون الانثروبولوجيا، بغداد 1981، ص 899.

ويطلق الانتروبولوجيون على التنشئة الاجتماعية اسم التنشئة الحضارية، مركزين في ذلك على عملية المهارات والعادات والخبرات والعقائد والافكار وأنماط السلوك والمعايير والقيم والقواعد الاجتماعية، أي اكتساب الطفل حضارة مجتمعه. في حين يميل علماء الاجتماع وعلماء النفس إلى استخدام التنشئة الاجتماعية التي يقصد بها تكيف الفرد مع حضارته ومجتمعه مركزين على عملية تعلم أنماط السلوك الاجتماعي المناسبة لمجتمع معين[3].

(3) محمد الجوهري: الانثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية، القاهرة 1979، ص 115-117.

وبوجه عام أن التنشئة الاجتماعية هي عملية تراكمية ومستمرة ومتغيرة فأساليب التنشئة التي تفرض على الطفل لتوجيه سلوكه يجب أن تتغير كلما كبر الشخص، كما أنها تتغير من مكان إلى أخر ومن زمان إلى أخر. وهذا التغيير في أساليب التنشئة الاجتماعية والتباين الواضح في طريقة تنشئة الطفل من جيل إلى جيل ومن مكان إلى مكان، إنما يرتبط بالتباين في الأنظمة الإجتماعية والتفاوت في مستوى الحضري والإقتصادي والتكنلوجي، فكلّ أنساق البناء الاجتماعي تؤدي دوراً هاماً في تشكيل أساليب التنشئة، فهناك عوامل

أن التنشئة الاجتماعية هي عملية تراكمية ومستمرة ومتغيرة.

ايكولوجية، واقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية تؤثر في عملية تنشئة الطفل، وبذا يتجلى التباين في أنماط الشخصية من مجتمع لأخر.

المطلب الثاني: الحضارة وأثرها في البناء الأسري

يتفق الانثروبولوجيون على أن الحضارة حقل اختصاصهم، ولكنهم في الوقت ذاته إختلفوا في تعريفها، فمنهم من أكّد أنها (السلوك المكتسب)، في حين أكّد البعض الآخر أنها ((تجريدات مأخوذة من السلوك))[4].

(4) عاطف وصفي: الانثروبولوجيا الثقافية، بيروت 1971، ص 65.

ولقد صاغ ((ادور تايلر)) في كتابه ((الحضارة البدائية)) الصادر في عام 1871، تعريفه المشهور الذي لا يزال مقبولاً حتى الآن، وهو ((الحضارة هي ذلك الكم المركب الذي يحتوي على المعلومات والمعتقدات والفنون والقيم والقوانين والتقاليد وجميع القابليات والعادات التي يكتسبها الانسان عضواً في مجتمع ما)).

يؤدي التطور الحضاري بالمحافظة بقوة على نظام الأسرة الممتدة التي تقوم على التكافل لغرض تسهيل حصول كل أسرة على مستلزماتها الضرورية.

وعرف ((روبرت لويس)) الحضارة، بأنها مجموع ما يحصل عليه الفرد من مجتمعه، أي المعتقدات والتقاليد والنماذج الفنية والعادات المتعلقة بالغذاء والحرف، التي تصل إليه لا عن طريق فعالياته الابداعية، بل كميراث من الماضي ينقل إليه بالتعلم العضوي أو المنظم[5].

(5) شاكر مصطفى سليم: المدخل في الانثروبولوجيا، بغداد 1975، ص 78.

وبوجه عام فإن الحضارة هي البيئة الثانوية التي صنعها الانسان، أي كل ما صنعه الإنسان للتعامل مع البيئة الطبيعية التي تعدّ البيئة الأولية المكونة من عناصر مادية وروحية كل على السواء[6]. أما الخبرات والمهارات الإجتماعية والحضارية، تتناقلها الأجيال بحيث يرثها كل جيل عن الجيل الذي سبقه، والحضارة هي مجموع السلوك المكتسب الذي يتمّ تناقله إجتماعياً[7].

(6) محمد الجوهري: علم الاجتماع وقضايا التنمية في العالم الثالث، القاهرة 1978، ص 89.

(7) لنون رالف: الانثروبولوجيا وأزمة العالم المعاصر، ترجمة عبد الملك الناشف، بيروت 1967، ص 199

مما يؤدي التطور الحضاري بالمحافظة بقوة على نظام الأسرة الممتدة التي تقوم على التكافل لغرض تسهيل حصول كل أسرة على مستلزماتها الضرورية والقضاء على ظاهرة الفقر الموجودة في بعض الأسر وتحسين أوضاعهم المعيشية والإقتصادية، خلال إنشاء المؤسسات الإجتماعية والتي تختصّ بحماية الأسر وتقديم الدعم الإجتماعي والمادي لها.

المبحث الثاني: المؤسسات المجتمعية وتأثيرها في التنشئة الإجتماعية

إنّ المؤسسات المجتمعية والمتمثلة بالعائلة والمدرسة وشبكات الإتصال ووسائل الإعلام المختلفة كأبرز مؤسسات الضبط الاجتماعي، لما لها من دور فاعل وهامّ في تشكيل شخصية الفرد، وإعداده الإعداد الرصين، ليكون عنصراً منتجاً لما يخدم مجتمعه. وكذلك لكونها الركيزة الأساس في التأثير في عملية التنشئة الاجتماعية السليمة والايجابية. إضافة إلى تأثير باقي مؤسسات الضبط المجتمعية، من دور عبادة وجامعات ومنظمات مجتمع مدني وغيرها[8].

(8) أنعام توفيق جلال: التنشئة في الأسرة العراقية، رسالة دكتوراه، بغداد 1995، ص 131.

المطلب الأول: العائلة وأثرها في حماية الطفولة

العائلة التي تتكون من الأب والأم والتي يمكن تسميتها بالعائلة النواة إلى أن تتمّ عملية الإنشطار عن طريق الإنجاب والتكاثر، حينذاك يطلق عليها العائلة الممتدة، إذ تتكوّن من الاب والام والأبناء ذكوراً وإناثاً، هي الخلية الاساسية الاولى في كيان المجتمع والبيئة الصالحة التي تتمّ فيها عملية التنشئة الاجتماعية، فالإنسان اجتماعي بطبعه وأول ما يتجلّى ذلك في العائلة، إذ يرتبط المولود فيها بأمه وأبيه وأخوته، ويُروَّضُ على تقبل الواجب نظير الحق وممارسة العطاء مقابلاً للأخذ[9].

(9) أكرم نشأت ابراهيم: علم الاجتماع الجنائي، بغداد 1998، ص 30.

وبفضل الإرشاد الموجه والمساعدة عند الضرورة والحزم المشبع بالحنو يتعلم الطفل كيف يعدّل دوافعه الفطرية ويهذّب سلوكه وفق دستور العائلة التي يعيش فيه، وتتسع دائرة وجدانه وعواطفه، فتشمل الاب والاخوة والاقارب الذين يرتاح لهم ويطمئن إليهم، بعد أن كانت عواطفه وقفاً على حب أمه. وتنمو مدارك الطفل وذكاؤه وتنظيم تفكيره إلى الحدّ المناسب لسنه المبكرة. فيدرك بعض الحقائق التي كانت خافية عليه ويقدر فائدة ما يطلب منه، ويتحمل أنماطاً من الآلام، وكل تجربة يجتازها الطفل بنجاح، تزيده ثقة بنفسه وشعوراً بالأمان والإستقرار، وتدفعه قدماً نحو إستكمال شخصيته.

ومن أهم الآثار التطورية في سلوك الطفل ابتداءاً من مبدأ اللذة وانتهاءاً بمبدأ الحقيقية والواقع، انه يتقبل ارشادات الوالدين ونواهيهم على أنها قانون ملزم، وان ما يمنحانه من ثواب ويوقعانه من عقاب نتيجة حتمية لهذا القانون[10].

(10) عبد الراشد: علم الاجتماع التربوي، عمان 1984، ص 95.

ويتعين للوصول إلى درجة اكبر في التكيف الاجتماعي الذي يؤهل الطفل لدخول معترك الحياة فيما بعد، معتمداً على نفسه، أن تتسع مداركه خارج وسط العائلة وان يكوّن عواطف جديدة تربطه بالغرباء من أصدقائه وزملائه وهذه الصلات الجديدة بالغير تجعله يقدر حقوق الغير ويحترمها كما يقدر حقوقه، وهكذا يتحول بالتدريج من الدائرة المقفلة التي كانت تتمركز فيها نفسه وأسرته ومن مبدأ التماس اللذة الذاتية إلى مبدأ إسعاد الآخرين[11].

أن البيئة والأفكار التي ينقلونها من الناس مع عوامل أخرى كثيرة تشترك كلها في جعل الأبناء يرون الأمور بعين أخرى غير عيون آبائهم.

(11) احمد عبد العزيز سلامة وعبد السلام عبد الغفور: علم النفس الاجتماعي، القاهرة 1970، ص 105

وما دام بناء الشخصية كله يقوم على أساس العنصر الوجداني، وحنو الأم هو الوجدان الطبيعي الاول والأقوى الذي يشعر به الطفل، فإن العلاقة الوجدانية بين الأم وطفلها هي العمل الحاسم في بناء شخصيته. وأيضاً يتطلب تأديب الطفل وإعداده السوي للحياة حزماً ملطفاً بالحنو. على انه يجب عدم الإفراط في الحنو، لأنه يعطل نمو الشخصية ويمهّد الطريق لسوء الخلق والرذيلة[12].

(12) محمد مظهر سعيد: الأثر النفساني لحنو الأم في تكوين شخصية الطفل، كتاب الدورة السادسة للحلقة الاجتماعية للدول العربية، القاهرة 1963، ص 214.

وسلامة نفسية الأبناء هي أَنْفَسُ ما يهب الآباء لأبنائهم، وهي تتوقف على سلامة العلاقة التي تنشأ بينهم وبين والديهما معاً في رابطة واحدة، والأبناء عندما يشبون، يبدؤون من النظر إلى أنفسهم، ويفسرون المظاهر التي يرونها تفسيراً يلاءم عقولهم، مما يجعل لهم شخصية خاصة، مهما بالغ الوالدان في طبعهم بطابعهما. أن البيئة والأفكار التي ينقلونها من الناس مع عوامل أخرى كثيرة تشترك كلها في جعل الأبناء يرون الأمور بعين أخرى غير عيون آبائهم. وهذا يلقي على آبائهم مسؤولية أخرى، وهي أن يعلموا على تفهم وجهة نظر الأبناء وان يترفقوا في التفاهم معهم حتى يحافظوا على وحدة الصف في العائلة.

إن التربية الخاطئة هي حجر الأساس في تكوين الشخصية المنحرفة.

وعدم الركون إلى التربية الخاطئة، فإن التربية الخاطئة هي حجر الأساس في تكوين الشخصية المنحرفة. والتربية الخاطئة تبدو في معاملة الآباء والأمهات لأطفالهم بقسوة أو بلين أو التأرجح بين القسوة واللين أو بإهمال وعدم مبالاة. وقد أظهرت العديد من الدراسات وجود نسبة كبيرة من الأحداث الجانحين، كانت تربيتهم خاطئة[13].

(13) جعفر عبد الامير الياسين: التفكك العائلي وأثره في جنوح الأحداث بيروت 1981، ص 286.

والآباء المثقفون اقدر على الملاءمة بين استقلال أبنائهم وبين بقاء المعاملة معهم. وتدريب الأبناء على الاستقلال من أهم عناصر التدريب الأبوي للأبناء، فكما أن الأم تفطم ولدها يستطيع أن يأكل بنفسه لان ذلك أمر ضروري له، كذلك ينبغي للأبوين معاً أن يعملا على فطم ولدهما تدريجياً من الاعتماد عليهما، لان ذلك أمر ضروري أيضاً.

أن المجتمع العراقي يتميز بأنه (مجتمع أسري) تنعدم فيه ظواهر التفكك الخطرة، التي تعيشها المجتمعات الغربية.

وليس ادعى للنجاح في هذا التدريب الاستقلالي من إلقاء بعض الأعباء على الأبناء في المسؤولية العامة للأسرة حتى يشعر الإبن بأن له شخصية يعتمد عليها، وهو يستفيد بما يكتسبه من خبرة جديدة بممارسة الأعمال وتجربة الأمور[14].

(14) محمد فريد أبو حديد: العوامل المؤثرة في تنشئة أفراد البيت العربي، القاهرة 1963، ص 283-287.

ولما كانت العائلة هي الخلية الأولى للتنشئة الاجتماعية وهي المصدر الأول للتعلم ونقل الثقافة والقيم والمفاهيم السلوكية والضوابط الاجتماعية، وبالتالي فأن أي تغير في بنيتها يعني تغييراً في وظائفها، وفي نمط ومضمون تكوينها الثقافي. هذا بالإضافة إلى أن المجتمع العراقي يتميز بأنه (مجتمع أسري) تنعدم فيه ظواهر التفكك الخطرة، التي تعيشها المجتمعات الغربية، كما أن العائلة العراقية، ذات بعد تاريخي يمتد إلى العشيرة والقبيلة في هذا العمق التاريخي. وهذا أمر لا نجده في مجتمعات أخرى.

المطلب الثاني: المدرسة وتأثيرها في التنشئة الإجتماعية

المدرسة هي البيئة الخارجية الأولى التي ينتقل اليها الطفل من بيئته الأسرية والعائلية، وفيها يلتقي عدداً من التلاميذ الذين نشأوا في بيآت أسرية متباينة، اكتسبوا فيها أفكارا ونزعات مختلفة، متفاوتين في مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية وميولهم واتجاهاتهم وقدراتهم العقلية والنفسية. كذلك يلتقي الطفل في المدرسة عدداً من المدرسين لكل منهم سلوك وصفات خاصة، يمثلون بالنسبة له السلطة التي يجب طاعتها، والمثل الذي يفترض التمثل به. وذلك إلى جانب إدارة المدرسة التي تمسك بزمام السلطة في هذا المجتمع الصغير المتعدد الأطراف.

والتعليم بمعناه الدقيق أن لا يتعدى تقديم عناصر المعرفة المقررة في مناهج الدراسة، إلا انه بمعناه الواسع يشمل احاطة هذه المعرفة باطار متكامل من

القيم والمثل والمعتقدات السليمة، التي تحقق أهداف الجماعة في تأهيل الأفراد لخدمة المجتمع وتعزيزه، وبذلك يساهم التعليم في التنشئة الإجتماعية للأفراد[15].

(15) اكرم نشأت ابراهيم: المرجع السابق، ص 51.

واذا كان الطفل يتعلم في محيط الأسرة والعائلة أوليات معاني احترام الوالدين، ومساعدة الإخوان، ومعاونة الجيران، والنظافة والصدق والمحافظة على المال الخاص، ومبادئ الإيمان بالله سبحانه وتعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر، وما يوجبه هذا من صلاة وصوم، فإنه يتعلم في المدرسة قواعده التربية الدينية والأخلاقية بأصولها العامة، وحب الوطن والأمة، وأهمية التضامن الاجتماعي، واحترام قدسية المال العام، وضرورة احترام القانون والالتزام بأحكامه.

ويرى ((دوركهايم)) أن سلوك الطفل في طور ما قبل المدرسة يختلف عن سلوكه أثناء طور المدرسة ورفض عدّ الأسرة مسؤولة عن التربية الاجتماعية، وأوضح أن العلاقات الأسرية قائمة على العاطفة وحدها، وبالتالي فهي عاجزة عن أن تكون أداة صالحة لإعداد الطفل لأداء واجبه كمواطن وعضو صالح في مجتمع. وابرز ((دوركهايم)) دور المدرس والمدرسة في تكوين البيئة الاجتماعية الصالحة لدمج النظام والعناصر العقلية في شخصية الطفل. وهو بذلك يسقط تأثير السنوات الخمس الأولى من عمر الطفل في تكوين الجانب الاجتماعي من الشخصية، ويؤكد أهمية مرحلة الطفولة المتأخرة، والتي تبدأ منذ إلتحاق الطفل بالمدرسة. ويضيف ((دوركهايم)) بان المدرس هو الذي يغرس المبادئ العقلية من شخصية الطفل، وهو الذي يعوّده على النظام، أي أن المدرسة هي المكان الملائم لتعويد الطفل على المبادئ العقلية والأخلاقية[16].

أن المدرسة هي المكان الملائم لتعويد الطفل على المبادئ العقلية والأخلاقية.

(16) محمد سعيد فرج: المرجع السابق، ص 107

وبالرغم من اننا لا نختلف مع ما جاء به ((دوركهايم)) من أفكار مهمة فيما يتعلق بالمدرسة ودورها في توجيه سلوك الطفل، إلا أننا نرى لا بدّ من التأكيد على دور الأسرة وأهميتها في الدرجة الأساس في توجيه الطفل نحو سلوك قويم وتنشئته الإجتماعية الصالحة، مثلما تقدم المدرسة المعرفة للطفل، فان الأسرة هي الأخرى أو هي اللبنة الأولى في إرساء دعائم التربية، وكلاهما لهما الأثر البالغ والفعال في التنشئة الاجتماعية.

المطلب الثالث: شبكات الإتصال ووسائل الإعلام المختلفة وتأثيرها في تبادل المعلومات

الفرد عنصر هام في المجتمع بل هو أساسه الذي يؤثر فيه ويتأثر به فهو مفتاح التغيير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وهذا التغيير لا يأتي إلا بالتخطيط المنظم السليم، والتخطيط السليم لا يكون إلا بناءاً على معطيات حقيقية تبحث في أخطاء سابقة وتوقعات مستقبلية، وهذا لا يكون إلا بعد الحصول على معلومات وافية ودقيقة عن طبيعة الاشياء، وفي هذا فلنأخذ المقولة الشهيرة أن مصدر القوة والسلطة الجديد ليس هو المال في أيدي القلة، إنما هو المعلومات في أيدي الكثرة فالتقدم العلمي والتقني الجديد يرفدنا بكم هائل ومتدفق من المعلومات في جميع مجالات الحياة، إلا أن هذه المعلومات فيها ما يفيد ومنها ما يضر، وهنا يجب الحفاظ على الأسرة وعلى ثقافتها وعاداتها وتقاليدها وآدابها ومعارفها، والعمل على رقابة هذه المعلومات والوقوف على ما ينفع منها وما يضر، وتلقين وافهام الأجيال بالنافع منها ونبذ الضار وآثاره السيئة.

أن مصدر القوة والسلطة الجديد ليس هو المال في أيدي القلة، إنما هو المعلومات في أيدي الكثرة.

ولما كان الفرد هو النواة الهامة في الأسرة، والأسرة هي مكون اجتماعي صغير، وهي لبنة من لبنات المجتمع الكبير المتبلور والذي يشكل جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الدولي، لذا لا بدّ من الاهتمام بالفرد والعمل على تغذيته بشتى أنواع المعارف ليتواكب مع المجتمع وتتفتح مداركه وتتوسع وهذا لا يكون إلا عبر تبادل المعلومات والمعرفة وتسخير الإمكانات المتاحة للاستفادة من المعارف والعلوم عن طريق التدريس والتدريب.

ولنقل العلوم والمعارف والخبرات بين الأمم تاريخ حافل وحضارات مجيدة، إلا أن تلك العلوم والمعارف والخبرات انتقلت من المراحل التقليدية إلى مراحل الانفتاح والتطور والتقنية الشيء الذي يتطلب مسايرة ذلك التطور لاستقطاب تلك المعارف والعلوم والخبرات الجديدة ورفدها للمجتمعات التي هي بحاجة إليها، وبالتالي عكسها على الفرد ليكون فرداً نافعاً ومثمراً وفاعلاً في المجتمع الذي يعيش فيه.

إن الثورة التقنية التي يعيشها عصرنا هذا تفرض علينا توظيف هذه التقنيات

لخدمة أهداف المجتمع في مجالات الحياة كافة. وان العلاقة بين العلم والتقدم التكنلوجي ووظيفة الدور الأسري ومؤسسات التنشئة الاجتماعية كافة علاقة وطيدة ومرتبطة بعضها مع البعض الآخر. وأن لتبادل المعلومات والثقافات والعلوم والتقنية اثراً كبيراً في البنيان الاجتماعي، إذ ينشأ من ذلك أفراد ذوو عقول متفتحة، كما إن نقل المعلومات في شتى مجالات الحياة يتطلب شبكات إتصال ووسائل إعلام متطور ومتمكنة من نقل هذه المعلومات في شتى مجالات الحياة بشكل سليم ودقيق مما يجعل الأفراد على وتيرة واحدة مع مستجدات العصر وتطوره، ويولّد فيهم الرغبة لإكتساب المزيد من المعارف والعلوم والعمل على تطوير مجتمعهم وإبتكار كل ما يخدم أهدافه الإجتماعية والثقافية والإقتصادية.

إن نقل المعلومات في شتى مجالات الحياة يتطلب شبكات إتصال ووسائل إعلام متطور ومتمكنة من نقل هذه المعلومات في شتى مجالات الحياة.

على الأسرة العراقية أن تأخذ بما يتلاءم مع وضعها وطبيعة أفرادها، والمعلومات المتدفقة عبر شبكات الاتصال والثقافات المتبادلة عبر الفضائيات قد يكون وبالاً على المجتمع ما لم يتمّ السيطرة عليها والعمل على ضبطها وبث ما يتماشى مع القيم والثقافات، والعمل على محاربة ما يتعارض وثقافاتنا.

وبحكم ما حققته وسائل الاتصال الحديثة، من إلغاء للقيود والحدود والرقابة الوظيفية على حركة المعلومات والأفكار، واختراق الأسوار الجغرافية والسياسية والاعلامية، فأنها تفرض تحديات جسيمة، على مؤسسات الضبط الاجتماعي، وفي مقدمتها الأسرة.

ولما كانت وسائل الإعلام المتمثلة بالتلفزة والاذاعات والصحافة وغيرها من وسائل الإعلام بالإضافة إلى الانترنيت. فقد لا تقتصر أهمية هذه الوسائل على الترفيه والتسلية فحسب، أنما تتعداها إلى مهمة اكبر تتمثل في التثقيف بالساهمة في تكوين شخصية الأفراد وفق أفكار محددة عن الحياة والمثل والقيم التي تسود المجتمع، فتؤثر في أفكار واتجاهات وسلوك الكبار والصغار[17].

(17) امال عبد الرحيم عثمان ويسر أنور علي: علم الأجرام وعلم العقاب، القاهرة 1970، ص 253.

والأهمية العلمية لوسائل الاتصال المختلفة تتمثل بالمضمون الذي تقدمه هذه الوسائل ومدى مسايرته المعايير الاجتماعية والأبعاد التربوية، التي يجب أن تعنى بتنشئة الفرد تنشئة منسقة مع أهداف المجتمع ومثله وقيمه.

إنّ شبكات الإتصال ووسائل المعلومات أداة هامة للتعليم المباشر بما ينقل من معلومات جديدة توسّع الخبرات والمهارات إذا وظفت توظيفاً صحيحاً.

إنّ شبكات الإتصال ووسائل المعلومات أداة هامة للتعليم المباشر بما ينقل من معلومات جديدة توسّع الخبرات والمهارات إذا وظفت توظيفاً صحيحاً، فأنها بالمقابل تنقل ما يعلم الفرد العدوان والعنف والانحرافات السلوكية، إذا أُسِيْأَ إستخدامها وسخرت برامجها لأغراض غير سليمة بما يفسد الأخلاق.

وبهذا الصدد يقول العالم الاجتماعي الأمريكي ((دونالد تافت)) (إن بعض الصحف تنشر أخباراً تضفي أهمية على المجرم وتجعل جريمة ما جذابة، مما يغري على ارتكاب مثلها. كما تبرز أخبار أخرى مهارة المجرم في طريقة ارتكابه جريمته فتتيح بذلك للآخرين ارتكاب جريمة مماثلة بذات المهارات)[18].

(18) دولاند تافت: مبحث الجريمة، المجلد الاول، ترجمة زكي سوس القاهرة 1959، ص 333.

والنشء أن لم يكن محصناً ثقافياً وتربوياً وأسرياً واجتماعياً، فضلاً عن غرس مكارم الأخلاق والفضيلة ونبذ الرذائل كما جاء بها ديننا الاسلامي الحنيف والشريعة السمحة، فأن احتمالات تعرضه لتيارات تنقلها أجهزة الاتصال ووسائل الإعلام مما يكون لها تأثير كبير في نقل المعلومات والمعرفة التي لا توائم تطلعات مجتمعاتنا من شأنه أن يؤدي إلى نتائج سلبية.

ويتعرف الطفل على التلفزيون قبل غيره من وسائل الإتصال، ويجلس ساعات طويلة أمامه لمشاهدة برامجه وعروضه، ويقدر عدد ساعات التي فيها الطفل أمام التلفزيون في البلدان المتقدمة أكثر من الساعات التي يجلس خلالها على مقعد الدراسة. لذلك صار التلفزيون يخاطب نفسية الطفل ويتفاعل معه، فيؤثر في تصرفاته ونمط حياته، ونتيجة لهذا التأثير أننا نرى الطفل يغني ويرقص ويمثّل[19].

(19) فخر الدين فلا: وسائل الأعلام وتربية الأطفال، مجلة الأعلام العربي، المنظمة العربية.

إذ إن العالم الذي يعيشه ينبثق من طبيعة سحرية، في حين أن الطفل بين سن 6-11 سنة يتأثر بأفلام ومسلسلات الخيال، إلا أنه يبقى تذوقه لمشاهدة العنف الخيالية لا يتعدى كونه لعبة مسلية وترفيهية أكثر من كونها وسيلة لإستنزاف الروح العدائية. وهذا يتوقف طبعاً على درجة نضجه وعلى طبيعة الوسط الإجتماعي الذي يعيش فيه[20].

(20) البحوث: مجلة فصلية للدراسات، الاذاعة والتلفزيون العراقية، العدد الثاني، نيسان 1979، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص 24.

المبحث الثالث: الوازع الديني ضرورة أساسية للتربية السليمة ومقوم للتنشئة الإجتماعية

من الخصائص المميزة للمجتمع لا سيّما الإسلامي قوة العلاقات الأسرية وتضامنها في مواجهة الأزمات وشيوع الإحترام المتبادل بين أفرادها. وذلك بفضل ما أكدته أحكام الشريعة الاسلامية من قيام الزواج على المودة والرحمة، وفي قوله تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[21].

(21) القران الكريم، سورة الروم، اية 21.

وتؤكد دساتير الدول كافة أن الأسرة نواة المجتمع، وتعمل الدول لتنشئتها وفق القيم والمعايير السائدة في المجتمع المستمدة من تراثه وقيمه الحضارية. وتجسيداً للعناية بالأسرة وتقديراً لدورها في التنشئة السليمة للأجيال، إهتمت الشريعة الإسلامية والدساتير العربية بالزواج بوصفه النواة الأولى لتكوين الأسرة.

أثبتت الدلائل الواقعية أن الوازع الديني هو ركن أساس في استقرار الحياة للفرد والجماعة وسعادتهما، وان التخلي عن غرسه وانمائه في نفوس الأفراد لا ينتج عنه إلا الانهيار وتفكك الروابط الاجتماعية، وان الفراغ الذي تحسه النفوس البشرية لا يملأهُ أي وازع آخر غير الوازع الديني. وانه العامل الأول الأكبر الذي توطدت بفعله الأسس الاجتماعية.

وقد كان الوازع الديني دوماً الحاضنة الرشيدة والمقومة للتنشئة الإجتماعية. ولذلك لا يمكن لشعوبنا أن يأتلفوا ويتضامنوا ويندمجوا إلا بقوة الدين، كما جاء في قوله تعالى ﴿لو أنفقت في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم﴾ فحياة الناس الاجتماعية الرصينة المتكاملة المستمرة لا تكون إلا إذا أقامها وازع الدين.

كان الوازع الديني دوماً الحاضنة الرشيدة والمقومة للتنشئة الإجتماعية. ولذلك لا يمكن لشعوبنا أن يأتلفوا ويتضامنوا ويندمجوا إلا بقوة الدين.

إن جميع المقدسات التي يؤمن بها المجتمع تنتسب إلى الوازع الديني لأنها تستمد قوتها وقداستها وأي أمور اعتبارية أخرى لصيقة بالفرد والجماعة من الوازع الديني الذي يحدد تلك المفاهيم، وفي مجال الأبناء، وجه الدين اليهم أوامره ووصاياه المشددة ببر الوالدين، وجعل

عقوقهما من اكبر الكبائر بعد الشرك بالله[22]. وفي حالة عدم الرقابة الصيغة يؤدي وبلا شك للانحلال الأخلاقي وبالتالي التخلي عن قواعد وأخلاقيات الدين الحنيف التي تدعو إلى نبذ الرذيلة والعمل على مكارم الأخلاق.

والفضيلة هي النظام الذي يسود كل العلاقات الانسانية، سواءاً كانت في الأسرة أم المدرسة أم في المجتمع. فالفضيلة هي قاعدة الاسلام في كل ما ينظمه من أحكام وما يربطه بالناس من علاقات[23].

لذلك يتطلب أن نأخذ كل ما يتوافق وقيمنا وأخلاقنا وتعاليم ديننا السمحة ونبذ السلبيات المتأتية من الثقافات الدخيلة أي كان مصدرها ونتصدى لها بوضع الخطط الكفيلة التي تبنى على أسس علمية ومنهجية وواقعية يمكن تطبيقها بوساطة المؤسسات المجتمعية الموكول لها هذا الدور، ويكون للإرشاد الديني والإعلام والتعليم دور أساس في تقويم التنشئة الاجتماعية وإرساء دعائم التربية السليمة من خلال تضافر الجهود لزيادة الوعي الثقافي والديني والتثقيف الإجتماعي لزيادة التماسك الأسري لإرساء دعائم التربية السليمة وتقويم التنشئة الاجتماعية.

الخاتمـة

في ضوء ما ذكرناه في بحثنا هذا، بالإمكان تحديد أسس وقواعد التربية السليمة للنشء في العراق من خلال ما يلي:

1- إن البناء الإجتماعي للعوائل والأسر والارتقاء بمستواها إلى واقع أفضل يتطلب ذلك إشراك مؤسسات المجتمع المدني المختلفة عبر برامج محددة ومرسومة للقيام والساهمة في مقاومة الثقافات الضارة على العائلة والمجتمع.

2- دعم الرعاية الصحية والتعليمية للأطفال والصغار وتحمل نفقات هذه الرعاية من الجهات الرسمية بالإضافة إلى دعم عناصر التنشئة الاجتماعية عموماً لتحصينها ضد الثقافات الوافدة والضارة والتي تحاول تخريب العائلة من خلال التأثير في الأطفال والصغار.

3- يتطلب تدخل المؤسسات الرسمية لدعم الأسرة ورعاية الطفولة وتحسين مستواها المادي والعلمي والاجتماعي، وتخليصها من براثن الفقر والتهميش الاجتماعي.

(22) عبد المنعم خلاف: الوازع الديني وأثره في كيان الأسرة، كتاب الدورة السادسة للحلقة الاجتماعية للدول العربية، القاهرة 1963، ص 785.

(23) محمد أبو زهرة: الأسرة في الاسلام، كتاب الدورة السادسة للحلقة الاجتماعية للدول العربية، القاهرة 1963، ص 175.

4- إن مسألة التعليم في المدارس لا تتعدى تزويد التلاميذ بالمعرفة المقررة في مناهج الدراسة، إلا انه بالمعنى الواسع يتطلب احاطة هذه المعرفة بإطار متكامل من القيم والمثل والمعتقدات السليمة التي تحقق أهداف الجماعة في تأهيل الأفراد لخدمة المجتمع، وهذا هو ما يجب أن تقوم به المدرسة ومدرسوها.

5- لوسائل الإتصال والإعلام التي تشمل الإذاعة والتلفزيون والصحف ودور السينما والمسرح، تأثير مباشر في أفكار واتجاهات وسلوك الأفراد ولاسيما الصغار منهم، مما يقتضي فرض رقابة مناسبة عليها، للحيلولة دون إنحرافها عن مهامها في الترفيه المفيد والإعلام والتثقيف، إلى الفساد والتضليل وإخضاع تلك البرامج لفحص دقيق من إختصاصيين إجتماعيين ونفسيين، وإستبعاد ما هو غير صالح.

6- الوازع الديني هو أساس التربية السليمة التي تمثّل المقوّم الرئيس للتنشئة الإجتماعية في العراق. فعلى الوالدين والمدرسين ووسائل الإتصال والإعلام غرس هذا الوازع البالغ الأهمية في نفوس النشء، وعدّ الدين هو مفتاح التعاليم الخلقية، كما أكّدها الإسلام عندما وصف الله تعالى الرسول الكريم (ص) بسمو أخلاقه بقوله تعالى : ﴿وإنّك لَعلى خلق عظيم﴾. الرسول الكريم هو القائل ﴿إنّما بُعِثتُ لأُتمّمَ مكارمَ الأخلاق﴾.